

النسب

إحساس جميل يحتويني، وأنا أفتح عيني بعد نوم عميق طوال الليل. وكنا قد ختمنا يوم أمس بصلاة العشاء في المسجد بين مصليين كثيرين، كانت وقفتي بينهم مشحونة بالمهابة والخشوع، أكثرت فيها من الشكر لله في سجدتي الأخيرة، حتى فاضت عيني بالدموع.

بقلم: محمد علي وهبة
مصر

نهب عني قلق الغربة، منسوقاً، ومقدوفاً بعيداً خلف ظهري.
(الحمد لله).

نطق بها لساني في لهجة رطبية، وفي ارتياح، ثم قلت:
(ها... قد عدت مولوداً حقيقياً.. أتجدد بلا حدود!).

كانت بشائر الفجر بأنفاسها المنعشة قد بدأت تظهر من فوق النافذة بإشعاع ريح الأمل، ورائحة أركان المكان تختلط في أنفي برائحة إغطية الفراش، التي تعودتها منذ مولدي، والجدران والأبواب والنوافذ، وأثاث البيت، أشعر بها كلها، كأنها تتوق لاحتضاني وتقبلي بعد طول غياب.

يملؤني الشعور بالارتياح أكثر، وأنا أتذكر ما بذلته من جهد في ترتيب مكتبتني العامرة بمئات الكتب فور عودتي، أزلت غباراً كثيفاً من فوق بعضها، وخيوطاً عنكبوتية لزجة مغبرة من فوق أخرى. تذكرت متعتي وأنا أعكف على كشف طاقات النور في رموز الأحرف والسطور على صفحاتها، وصوت جميل ينساب في أعماقي.
(كأن في القراءة سرا إلهياً يسرج نور العقل والروح!).

طاقة من نور البهجة أحسست بها تغير قلبي، ورياح الفرح تعصف بملامح أبي وأمي، وهما يستقبلانني، كانت دمعات سرور أبي بلقائي تلمع في عينيه، لم يمهلهما الفرصة للسقوط على خديه، قام يسحقها بظاهر كفيه، كاد يسحقني الشعور بالأسى مما أصاب ملامحه في الظاهر. لم يكن وجهه هو نفسه الذي تركته به قبل سفري.
(ضعضته التجاعيد!).

وتهدل عنقه، ملأته حوافير عميقة متشابكة!
(أهكذا قسوة محراث الزمن!).

لكنه متمتع - برغم ذلك - بعافية كافية، ربما لقوة إيمانه، وحفظه لنفسه، ومدامته على الصلوات وسائر الفرائض والطاعات.
(عافاك الله وقواك يا أبي).

كانت فرحة أُمي مختلطة بدمع بهيج لم ينقطع حال استقباليها

من الموضوعات التي أسسها الخيال المحض، وصارت تعالج الواقع الإنساني النفسي والاجتماعي، واهتمت بوصف الحياة والأشخاص ومجال الأحداث الذي يبررها، واهتمت كذلك بصراع الشخصيات النفسية في هذا المجال لتحقيق ما يقومون به من أعمال.

٢- شخصيات القصة بما أنها تحمل همّ قضايا دينية وفكرية واجتماعية يجعلها دائماً في صراع مع الآخر تتصف بالإيجابية والقدرة على المواجهة لتحقيق رسالتها، وهذا يجعلها تحافظ على سلوكها الفكري والاجتماعي.

٣- الالتزام باللغة العربية والتعامل معها ببساطة وسلاسة وعفوية التعبير، واعتقد أن اللغة العربية الآن لا تمثل عقبة أمام المتلقي العادي بعد انتشار استخدام اللغة العربية في الصحف وأجهزة الإعلام.

٤- القصة الإسلامية يمكن أن تتناول قضايا المرأة، ولكن دون الوقوع في الوصف المثير للغرائز، ويخشى حياء القارئ، وقد بين ذلك الدكتور عودة الله منبع القيسي في مقدمته لمجموعة «يوم الكرة الأرضية» أن الإسلام ذو نظرة واقعية للحياة والحياة لا تقوم على الرجال بل تقوم على الرجال والنساء.. ثم هل يجوز أن يصف القاص الإسلامي المرأة ويتغزل بجمالها الجسدي والمعنوي.. نقول نعم، ولكن بحدود العفة أي يكون غزلاً لا فحش فيه، ولنا في القرآن الكريم المثل الأعلى في تصوير موقف امرأة العزيز وهي تراود يوسف، فجاء الأداء القرآني غاية في الرقة والدقة والحرص على عدم استئثاره المتلقي وخدش حياته.

٥- التزام الأديب في إبداعه بأخلاقيات الدين وعادات المجتمع وبمعقيدته الإسلامية يوجد الثقة بينه وبين المتلقي مما يجعله يشعر بالراحة النفسية والاطمئنان وعدم التوتر والقلق.

إننا في حاجة شديدة إلى الأدب الإسلامي خاصة في هذا الزمن الذي تدهور فيه الفكر، والأخلاقيات، والقيم، وتحطمت فيه الرموز القائدة للشباب ليقعدوا بها، ليعرفوا دينهم معرفة صحيحة، ويتواصلوا مع تراثهم بحب واحترام فيحفظوا أنفسهم من الضياع في متاهات الشعارات المزيقة المضللة التي تستهدف تفريغ العقل العربي وتشويهه ليسهل السيطرة عليه، وتحويله إلى معول هدم لمصلحة أصحاب هذه الشعارات.

إنهم يريدون أن يطفئوا نور الله ولكن الله سبحانه وتعالى يتم نوره، ويحفظ قرآنه ولغته العربية ولو كره الرافضون كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

الهوامش:

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦- مجلة الأدب الإسلامي - العدد ١٣.

٧- من مجموعة «يوم الكرة الأرضية» تأليف الدكتور عودة الله منبع القيسي - من منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

٨- مجموعة «اللقاء السعيد»،

تأليف محمد المجذوب - منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي طبعة أولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١- قصة «أم موسى» سعاد

عبدالله الناصر، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ١٣.

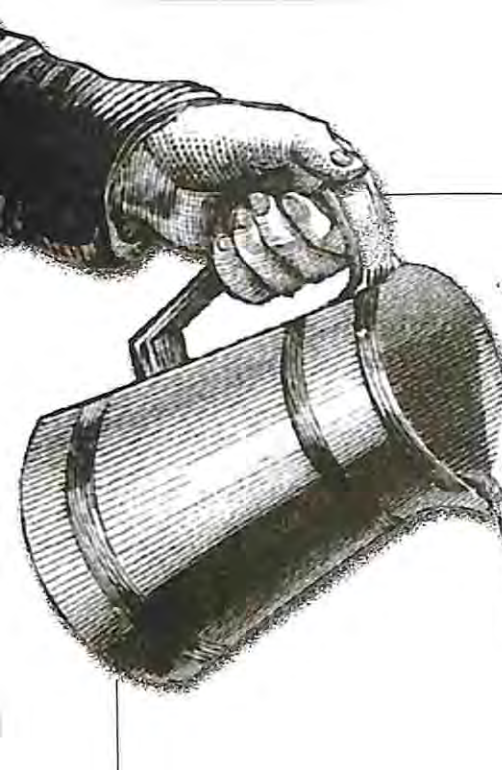
٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

٤- مجلة الأدب الإسلامي - العدد ١٣.

٥- من مجموعة «اللقاء السعيد»، تأليف محمد

المجذوب - منشورات نادي المدينة المنورة طبعة أولى



صامتاً أتأملهم. كانوا كما هم،
لم يتغير فيهم أحد، وربما كان
التغير الوحيد الذي لاحظته
عليهم، هو ظهور بعض
الانطفاءات في ملامح
وجوههم، ناقشتهم في هذا
الامر، قال أحدهم في لهجة
متأسية:

- تستعصي
الظروف المحيطة بنا
على التغير!
- ليس الإيمان
القوي كفيلاً بتغيير
آية ظروف؟!
ثم قلت:
- وضياء
الصبر.. ألا

يستطيع اختراق الصخر؟!!

ظلوا ينظرون لي بعيون متسعة، ولامح وجوههم تمتلئ
بتساؤلات عاصفة، ثم قال أحدهم: وهو يتأملني مبتسماً:

- عدت إنساناً آخر!
قلت مستكملاً كلماته:
- وباحتاً عن دفاء المشاركة!
سألني آخر:
- ألن تسافر مرة أخرى؟
ابتسمت، ثم قلت:
- لا... سأبقى هنا!
- ماذا ستفعل هنا؟!

قلت بملامح تنوّهج:

- سأخترق آفاق الطلوع بالمشاركة مع الجموع!

ظلوا يتأملونني مبتسمين. وأبادلهم التيسم في صمت.

انتقلت نظراتي إلى الكثيرين الجالسين على المقهى حولنا، ربما في

انتظار شيء لن يأتي أبداً.

طارت نظراتي - بعد ذلك - نحو المتزاحمين في الشارع نحو أهداف
بعيدة عما يحتاجون إليه في صدق، والمسافات الفاصلة بينهم تبدو أشبه
بال فراغات بين القبور.

احتواني شعور مفاجئ بالرغبة في اجتياح جموعهم، وإصاقي
كتفي بأكتافهم، في رفق وحب حميمين، لنجتاز معا طريقاً للعمل، مما
يحبّه الله، ويبعث فيه بروح الحياة.

بعد دخولنا المسجد، أصابني رجة نورانية منعشة، شعرت بها
تسري في كياني بأكمله، ارتجف معها نبض قلبي، وارتعشت أنفاسي
بالبهجة مع إحساسي بالدمع المترقق في عيني عند قيامي الخاشع في
الصف بين القائمين.

بعد فراغنا من الصلاة وأثناء عودتنا للبيت، قلت لأبي ونظراتي
تسافر في أرجاء بزوغ الضياء:

- تعودت الخروج للعمل في مثل هذا الموعد وأنا هناك! أحسست

بخيوط الضوء الساطعة من حولنا ترتعش ابتهاجاً بصوته وهو يقول:

- نستيقظ مبكراً للخشوع أمام الله قبل انتشارنا في الأرض، لنبتغي
من فضله. وكان منظر السحب النارية للفجر الوليد يشتعل في خلاء السماء
في معزوفة بارقة خارقة تبعث على الإحساس بقابلية كل شيء للميلاد من
جديد.

لي، كانت آثار شيخوختها أقل منه لصغر سنّها عنه.

- ما كان يجب أن تطول غيابك هكذا يا بني!

- عملي هناك يا أمي!

قالت بملامح جادة، ودمعات عينيها لم تجف على خديها:

- يستخلفك الله في الأرض هناك.. وهنا أيضاً.

وسألتنى، ووجهها يشرق ببسمة كالبكاء:

- اليس عطاء الله لك يكون أفضل وأنت بيننا؟!

اكتفيت بالتبسم لها، دون تعليق مني على صواب قولها.

سألتهما عن حال إخوتي وأولادهم، اكتفى أبي بقوله:

- كلهم بخير...

قالها بلهجة مشوبة بالحزن، وبقي صامتاً للحظات، ثم قال:

- يؤسفني تباعدكم.. وعدم تقاربهم!

لم أعلق على قوله، لكنني بقيت منشغلاً به بكل أعماق أحاسيسي.

بعد وقت طويل من صفاء المسامرة المعطرة بيننا، فاجأتني أمي بقولها:

- بدأ الشعر الأبيض يشتعل في رأسك!

قالتها بلهجة ملتاعة، ولامح وجهها تنكمش وترتعش فأحسست

بأنها تود أن تقول:

- حان وقت ابتهاجنا بزواجك!

فرايتها تنحني برأسها، وهي تعد على أصابعها أسماء بنات
الأقارب والمعارف.

- كثيرات لدينا صالحات... بنت أبو عامر.. ابتهاج بنت جارتنا
نبوية.. بنت..

فقاطعتها في رقة، وصوتي يختلط بخفقات قلبي:

- ستفرحين بزواجي إن شاء الله يا أمي.

ظلت تتأمل ملامح وجهي الباسمة بنظرات طائفة، مسافرة في
المرثيات والغيبيات إلى منتهى مسافات الأمنيات.

انقطع شريط أفكاره وخطواتهما تملأ هدوء البيت من حولي بعد
نهوضهما، فنهضت لألحق بهما كما توعدنا. سألني أبي بعد أن تبادلنا التحية:

- نمت جيداً؟

قلت:

- أحمد الله.

- كنت قادماً لإيقاظك.

- أعانني الله على النهوض.

تصورت نفسي بين الآلاف من الأهل، نمارس نهوضاً جامعاً،
ساطعاً بعمل كبير، يقتلع أشتاتنا، يرتفع بجمعنا.

(هيا لم يعد لدينا وقت!).

قالها أبي، وهو يشير لنا بالتهيهيؤ للخروج.

أثناء انشغالنا بالوضوء لصلاة الفجر لم أشعر ببرودة المياه أو
الجو كما كنت أشعر بهما بين أهل أوربا، أحسست بأنهما عندنا يبعثان
على الحركة والنشاط أكثر مما عندهم.

كانت أمس لا يظهر منها غير أطراف يديها ووجهها المشع بنور
الحنان، وهي تسير معنا، وخطواتنا تبعثر هدأة الليل الأخير، مع
خطوات بعض الناس، وهم يسيرون معنا نحو المسجد، وبعض
السيارات تتنقل من حولنا بأصوات محرركاتها المتحشجة، وإشعاع
كشافاتها الصارخ في صمت يختلط بنور الأعمدة في الشوارع وضوء
النجوم في السماء ونور القمر.

تذكرت طوفانا من أحاسيس متعارضة كان يحتويني يوم أمس بعد
عودتي بقليل، وكنت قد خرجت للقاء بعض الصحبة على أحد المقاهي،
رغم كراهيتي لإهدار الوقت في الجلوس عليها.

استقبلوني بالأحضان والقبلات والمصافحات الحارة، بعد جلوسي
بينهم، وبعد حوارات معتادة بيننا حول الصحة والحال والأعمال، بقيت